سلسلة مطويات شبكة بينونة

تحقيق تقوى الله في

زمن الفتن

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرمكي

@baynoonanet @baynoonanetUAE
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

قال الله عَزَّوَجَلَّ في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]، فهذا خطاب من الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين الذين صدقوا في إيمانهم بأن يتقوا الله حق التقوى، فيخافوه في السر والعلن، بأن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، والعبد يلزم ذلك إلى الممات.

فيذعن المسلم لربه بالطاعة، ويخلص له بالتوحيد والعبادة، مجتنباً للشرك والمعاصي، فبذلك يحصل الفوز في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

فما هي التقوى التي يأمرنا الله ورسوله بها ؟

إنها العمل بطاعة الله إيمانـًا واحتسابـًا وأمـراً ونهيـًا ، فيفعل المكلف ما أمره الله به إيمانـًا بالأمر، وتصديقـًا بالوعد، ويترك ما نهى الله عنه إيمانـًا بالنهي وخوفـًا من الوعيد ، كما قال التابعي طلق بن حبيب رحمه الله : «**إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى**» قالوا: وما التقوى ؟ قال «**أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله**».

قال ابن القيم رحمه الله في الرسالة التبوكية ص ١٣ معلقـًا على الأثر: «وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعةً وقربةً حتى يكون مصدرهُ عن الإيمانِ، فيكون الباعثُ عليه هو الإيمانُ المحض، لا العادةُ ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله تعالى وابتغاء مرضاته وهو الحساب»اهـ.

فالمتقي لله تعالى حق التقوى هو الذي يأتي بأركانِ الإسلامِ

الخمسةِ، فيصلي الصلوات الخمس مع الجماعة وفي وقتها، ويزكي ماله، ويصوم رمضان، ويحج بيت الله الحرام.

وأول واجب على العبد المتقي ربه فعله أن يوحد الله تعالى في عبادته ولا يشرك معه أحداً كائناً من كان، فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : **يُنادى يوم القيامة :أين المتقون ؟**

فيقومون في كنف الرحمن، لا يحتجب منهم ولا يستتر.

قالوا له : من المتقون ؟

قال : قومٌ اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة» [رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة .ح ٨٦٤].

وفي الأمر بالتقوى وصية بطلب العلم الشرعي، علم الحلال والحرام، علم الواجبات والمناهي، قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل التقوى أن يعلم العبد ما يُتَقى ثم يَتقي ، ... عن بكر بن خنيس قال: (كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي)» [جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٢)].

وإذا اتقى العبد ربه يسر له الله أمره، وفرج كربه، وجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق].

وبالتقوى ينجو العبد من نار جهنم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ ﴾[مريم].

وبالتقوى ينال العبد رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ [الأعراف].

ومن هذه الرحمة دخول العبد الجنة، قال سبحانه : ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ ﴾ [مريم]، ومن دخل الجنة فقد

فاز فوزاً عظيماً.

وهنا نسأل سؤالاً : لماذا أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالتزود من التقوى ؟

الجواب: لأننا على سفر، نوشك أن نصل إلى غايتنا وهي الموت، فمن مات فقد قامت قيامته، ولا يدري العبد متى أجله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[الحشر].

ومن فضائل التقوى أنها سبيل للنجاة من الفتن وغوائلها، كما أشار إلى ذلك التابعي طلق بن حبيب -يرحمه الله- في وصيته السابقة، وإنما تتحقق هذه النجاة بما ذكره ابن القيم رحمه الله معلقاً على كلام طلق، وذلك بأن تكون أعمال المكلفين عموماً وفي زمن الفتن خصوصاً الباعث عليها الإيمان المحض، أي بالإخلاص لله تعالى، وليس لمجرد الهوى أو طلب محمدة أو رياسة.

وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى بعدما نقل وصية طلق بن حبيب: (قلت: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والإتباع ... ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ..».

ومن نظر في الفتن والقلاقل التي تقع في بلاد المسلمين يرى أنّ الباعث عليها طلب المشاركة في السلطة تحت مسمى المطالبة بالحريات السياسية ونحوها من الشعارات التي اغتر بها الكثير من الناس.

فلأجل تحقيق تقوى الله في زمن الفتنة، لا بد من التزام المسلم بأمر الله ونهج رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ليكون من المتقين.

فمما أمرنا به شرعنا الحنيف في زمن الفتن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء]، والمراد بأولي الأمر في الآية أمراء المسلمين، فقد بوب البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه فقال: باب قول الله تعالى ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ قال ابن حجر: «وفي هذا إشارة من المصنف رحمه الله إلى ترجيح

القول الصائر إلى أنّ الآية نزلت في طاعة الأمراء»، ثم روى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾: «هم الأمراء». قال ابن حجر في الفتح (إسناده صحيح) .

وهذا هو ما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال وقوع الفتن واضطراب الناس فروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ بَعْدِى أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَاىَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِى وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِى جُثْمَانِ إِنْسٍ**»

قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟

قَالَ :«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

وفي رواية عند البخاري قال حذيفة: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ

قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا

فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»

قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ

قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»

قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ

قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

فهذه هي وصايا نبينا صلوات الله وسلامه عليه في حال وقوع الفتن، بأن يلزم المسلم جماعة المسلمين وإمامهم ولا يخرج عليهم، بل أوصى عند عدم وجود الإمام وجماعة المسلمين بأن يعتزل المسلم جميع تلكم الفرق والأحزاب، وأن لا ينظم تحت راياتها.

فأين الخوارج من هذا الهدي الشرعي في التعامل في زمن الفتنة؟

بل نراهم يؤسسون أحزاباً وتجمعات بأسماء براقة وشعارات مبهرجة، تهدف إلى معارضة ولي أمر المسلمين وتفريق صف المسلمين.

فهؤلاء قد حادوا عن تقوى الله تعالى، بل حادّوا الله ورسوله، ولو كانوا ممن يدعي الإصلاح والدعوة، فقد ذم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخوارج على الرغم من شدة عبادتهم وقراءتهم، فروى أبو داود عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ**». وفي رواية قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصومه مع صومهم**» ومع ذلك ذمهم صلوات الله وسلامه عليه لأنهم خالفوا الهدي الشرعي في التعامل زمن الفتن.

فالواجب على المسلمين عموماً وفي هذه البلاد خصوصاً الالتفاف حول ولي أمرهم، وعدم منازعته حكمه وسلطانه، ومن أراد نصحه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح فليسلك الطريق الشرعي في ذلك، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ**»[رواه أحمد]، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، وَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ**» [رواه الدارمي].

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه ، والحمد لله رب العالمين .